الحياة البعيد عن مفاسدها ، على الاتصال بالعقل الفعال بقواه الفكرية وحدها . ولا يوصى ابن باجة بالخلوة — كما يفهم من لفظ المتوحد — إنما يرشد الإنسان المشتغل بشئون الحياة إلى سبل الوصول إلى الكمال ، وهو يشير إلى إمكان ذلك سواء كان هناك رجل واحد أو عدة رجال فى درجة واحدة من الفكر ، وقد يستطيع هذا أهل بلد بأسره إذا كان تام النظام . ولم تخف على ابن باجة صعوبة هذا الأمر فأوصى المتوحد بالعيش فى أغزر المدن علماً ، أى فى أقربها إلى الكمال ، وأجمعها لأهل الفضل والحكمة . وسنعرض فيما يلى أهم ما جاء بهذه الرسالة نقلاً عن « مونك » مختصرين ما أمكن[1]

الفصل الأول

تكلم ابن باجة أولاً عن لفظ « تدبير » وأنه يدل فى أوسع معانيه على مجموعة من الأعمال ترمى إلى غرض معلوم ، فلا يمكن أن يستدل به على عمل واحد ، بل على جملة أعمال تنجز تبعاً لخطة معينة كالتدبير السياسى والحربى . وينبغى أن يكون تدبير المتوحد على مثال تدبير الحكومة الكاملة ، ومن علامات الحكومة الكاملة ألا يكون بها أطباء أو قضاة ؛ لأن أهل هذه المدينة لا يتناولون من الغذاء إلا ما يوافقهم ، وبذا تختفى الأمراض الناتجة من الغذاء ، وأما الأمراض التى تصيبهم بسبب عوارض خارجية فتزول بنفسها . ولما كانت العلاقة بين أهل المدينة بعضهم مع بعض أساسها المحبة امتنع الخلاف فاستغنى عن القضاة . والحكومة الكاملة تكفل للفرد أن يبلغ فيها أرقى منزلة من الكمال ؛ لأن الكل يفكرون بأعدل تفكير ، وينظرون أدق نظر ، ويطيع كل فرد ما تأمر به القوانين ، لأنه يكون عالماً بها ، وبذلك تخلص أعمال الإنسان من الخطأ والهذر والختل فلا يكون الناس بحاجة إلى الطب الأخلاقى وهو ما لا غنى للجمهوريات الناقصة عنه

(يتبع) (البقيه فى العدد القادم)

محمد السعوقى

(١) وجدنا فى كتاب تاريخ فلاسفة الاسلام للأستاذ محمد لطفى جمعة ترجمة لما ذكره مونك عن ابن باجة ونقلا لكتاب تدبير المتوحد ، ولكن من الأسف لم يذكر الأستاذ جمعة أنه نقله عن مونك ، كما أن ترجمته تدل إما على قلة اكتراث أو عدم فهم ، وذكر كذلك ما نقله مونك عن الفتح ابن خاقان وطعنه فى ابن باجه الذى نقلناه سابقا ولم يرجع إلى قلائد العقيان لينقل منه النص العربى فجاءت ترجمته مشوهة ، كترجمته لتدبير المتوحد ، وهذه زلة من الأستاذ كنا ننزهه عنها

خرسَـــلات ...

الغيرة

إنى لتدركنى الشفقة أحياناً على هذه الكلمة المفردة ، كما يشفق امرؤ ذو قلب على عزيز قوم ذلّ ، وغنىّ قوم افتقر . إن أحداث الزمان قد جارت عليها ، وإن الدهر القُلَّب الذى يتنكَّر لكل شىء قد تنكَّر لها . إنها كالموظف المعزول الذى لم يعد يظهر فى ديوان عمله ، أو كالعقد الثمين المتألق الذى لا يجد صدراً يزينه . إنها كالقلادة الرفيعة التى مات صاحبها وبقيت فى « مخلفاته » تندبه فى صمت ، وتذكّر به كلما رمقتها العيون !

لقد كانت « الغيرة » معنى مشرقاً فى صدور الرجال ، فأصبحت رسماً باهتاً فى بطون الكتب ؛ وكانت « مادة » ملموسة بارزة الأثر فى حياة الناس ، فأصبحت « مادة » قابعة فى قواميس اللغة !

لقد فتشت عنها فى نواح كثيرة من نواحى الحياة ، فلم أجدها

كنت أحب أن أجدها : لم أجدها فى البيت لأنى وجدت « المرأة » تحكم «الرجل» ، فلا يغار على حقه المغصوب ، ولا يألم لسلطانه المسلوب ؛ ولم أجدها فى الطريق ، لأنى وجدت المخازى تعرض على قارعته فى صور مألوفة ، وأشكال معروفة ، فلا يغضب عليها غَضِبٌ ولا يَحمَى بها صدرُ غِيار ! ولم أفتقدها بين سُمَّار الليل فى النوادى الآثمة والمجتمعات المتهتكة ، لأنى أعلم كيف تصرع هناك الفضيلة ويصفع الحياء ! ولم أجدها فى « مكاتب الموظفين » ، لأنى وجدت الأعمال فيها مهملة ، والأوراق مكدسة والناس على أبوابها يستصرخون ولا من يجيب الصريخ !

وأخيراً ، فتشت عنها عند الذين يتنادَوْن « بالإصلاح » ، ويتحلَّوْن « بالفضيلة » فلم أجدها : لم أجد من يغار على البرامج المعطلة ، والأمانة المضيعة ، والوعود المهملة ، والفساد الذي استشرى ، والنار التى تومض من خلال الرماد !

فأين — يا رب — أجدها ؟ أين « الغيرة » ؟ ! .

محمد محمد المدنى